الفصل الرابع : اهمية بلاد الشرق في الثقافة العربية

١ ـ تطور الرحلة الجغرافية عند العرب

تطل بلاد العرب على شواطيء البحر المتوسط والبحر الاحمر وبحر العرب والخليج العربي والمحيط الهندي . مما اكسب العرب معرفة جغرافية بالبلاد التي تقع الى جوارهم وصارت لهم علاقات بهذه البلدان. وعلى جناح التجارة وصل العرب الى الهند وشرقي افريقيا وتحولت قوافلهم الى تخوم بلاد الروم . وما قيام بلاد العرب الجنوبية واثر العامل التجاري الخاسم في قيامها ، وتجارة قريش المعروفة بالايلاف برحلتيها في الصيف والشتاء(١) الا الدليل على هذه المعرفة الجغرافية وبمجيء الاسلام تطورت هذه المعارف الجغرافية وتعددت جوانبها ومجالاتها . ذلك انه بفضل الاسلام توسعت الدولة العربية لتشمل مناطق نائية في اسيا وافريقيا. كما انه شجع على مزاولة التجارة بوصفها كسبا حلالا لتلبي متطلبات المجتمع الجديد . فضلا عن ان الاسلام حض على طلب العلم وفرض الحج شعيرة دينية
اسلامية مما اسهم اسهاما جادا في تقدم الكتابة الجغرافية وحركة الرحلة ومارافقها من اداب ومعارف . ففي بداية الدعوة الاسلامية كانت هجرة المسلمين من اهل مكة الى الحبشة وهي تندرج في نطاق الرحلة والاسفار كما انه في زمن الرسول الاعظم (ص) حدثت رحلتان : واحدة تنسب الى تميم الداري وهو صحابي ولاه الرسول ارضا قرب الخليل من اعمال فلسطين(٢) والرحلة الثانية تنسب الى عبادة بن الصامت وهو صحابي شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها ثم ولي قاضيا ومعلما على بلاد الشام واقام بحمص ثم الى فلسطين(٣)
وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) اخر عثمان بن ابي العاص الثقفي والي البحرين ، من عمان في غارة جريئة على ساحل السند عند تانه بالقرب من بومباي ووجه اخاه لى خور الديبل عند مصب السند سنة ١٥ هـ / ٦٣٦م. وبعده كانت محاولة العلاء بن الحضرمي الذي

---

١ ـ كما وردت في القرآن الكريم ،السورة قريش : الاية ١و٢ : لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف

٢ ـ فتوح البلدان ،للبلاذري ،ص ١٢١.

٣ ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ج١ ص ٤٣١ والهامش.

عبر الى ايران ووصل الى اصطخر وعاد الى البصرة. وفي ظل بني امية صار للعرب اسطول يقارعون به اعدائهم من البيزنطيين وكان لهذا الاسطول الاثر الكبير في توسع رحلات العرب واسفارهم وتجاراتهم لتصل الى الصين شرقا والى بلاد الاندلس غربا[1].

وبمجيء بني العباس وانتقال الخلافة الى العراق وبناء بغداد بموقعها المتميز وسطا يحف بها النهران دجلة والفرات وصلاحها للملاحة ، ازدهرت التجارة لتحاكي حاجات المجتمع العربي الجديد ، ورافق ذلك تطور خلاق في الادب الجغرافي الذي بلغ ذروته في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وهو بحق يمثل زمن النضج الجغرافي العربي. وقد استمر هذا النضج ثلاثة قرون برزت فيه الشخصية العربية ممثلة في ثلاثة اتجاهات :-

الاول : تميز بعناية شديدة باقاليم العالم العربي الاسلامي والاقطار المجاورة كما نراه واضحا عند البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي.

الثاني : نلحظ فيه نوعا من التخصص في قطر واحد كما في كتاب صفة جزيرة العرب للهمذاني وكتاب «في تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة» للبيروني ، وكتاب «وصف بلاد الهند وما يجاورها» للادريسي ، ورسالة ابن فضلان في وصف بلاد البلغار والفولغا على نهر الدانوب . اما الاتجاه الثالث فقد بدا منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بظهور المعاجم الجغرافية ، ككتاب «معجم ما استعجم» للبكري ، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي. وماتلا ذلك في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حينما ظهرت الموسوعات الكبيرة كنهاية الارب في فنون العرب» للنويري ، و «صبح الاعشى في صناعة الانشأ» للقلقشندي ، و مسالك الابصار..» لابن فضل الله العمري.(٢).

شهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، تشكيل مايسمى بـ «المدرسة الكلاسيكية» لجغرافية العربية ، كما انجز العرب في هذا القرن «اطلس الاسلام» الذي ضم اكثر من (٢٧٥) خارطة للعالم العربي الاسلام(٣).

وفي هذا القرن بالذات نفذت الجغرافية الى الانماط الادبية المقاربة لها وافردلها مكان في دوائر المعارف وفي المصنفات البليوغرافية وفي معاجم المصطلحات . كما ارتبطت ارتباطا وثيقا

---

١ - تاريخ الاسلام السياسي ، لحسن ابراهيم حسن حـ١ ص ٣٠٦ ومابعدها.

٢ - كتاب الرحالة العرب ، تقولا زيارة، ص ٣٧، مابعدها.

٣ - Miller, P.14.

بالموضوعات الادبية والعرض الادبي وهو مايعرف بادب الرحلات . واخيرا قدمت لنا هذه الحقبة التي اطلقنا عليها زمن النضج الجغرافي ، شخصيات ومؤلفات ما زلنا نعرف من معينها الذي لا ينضب[1] ان اهم مايميز هذه المؤلفات اصالتها وخصوصيتها العربية وعدم تأثرها باليونان واعتمادها على المشاهدة الشخصية والحس والملاحظة. كما عنيت بالمسالك والطرق والمسافات وما لها من علاقة بالرحلة والتجارة والبريد ، وقد اطنب بعضها في وصف المدن التي زارها مؤلفوها ومروا بها او استوطنوها ، ووصفوا المسافات التي اجتازوها والصعوبات التي جابهوها والزرع وحياة السكان وعاداتهم الاجتماعية.

ب - كشف باسماء الرحالة العرب المسلمين ومؤلفاتهم :

١ - رحلة سلام الترجمان (٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م) - في زمن الواثق

رحالة يجيد عدة لغات ارسله الليفة الواثق بالله العباسي الى سور الصين ليتحرى حقيقة ما اشيع من خرابه مما يهدد بلاد المسلمين بالغرق من مياه يأجوج وماجوج[٢].

سار سلام من مدينة سر من رأى ومعه خمسون رجلا ومئتا بغل تحمل الطعام والماء ومعه كتاب الخليفة الى حاكم ارمينيا ليسهل مهمتهم وبالفعل احسن وفادتهم وزودهم هذا الحاكم بكتاب الى امير السرير - وهي مملكة قرب بلاد الخزر بفرسخين (ستة اميال)[٣] . الذي كتب بدوره الى ملك الخزر في اقليم بحر قزوين مما مكنهم من الوصول الى السد وعاينوه بانفسهم ثم عادوا قافلين الى سامراء ماريين بخراسان ، وقد استغرقت الرحلة ثمانية عشر شهرا[٤].

ويعتقدان جبة هذه الرحلة كانت تستهدف الحصون الواقعة في جبال التوقاز بالقرب من دربند في اقليم داغستان غربي بحر قزوين[٥]

---

١ - تاريخ الادب الجغرافي العربي ، كراتشكوفسكي . حـ١ ص ١٧٧

٢ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،.ص ٣٦٢

٣ - المسالك والممالك للاصطخري ، ص ١٣٠

٤ - المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ص ١٦٨

٥ - ادب الرحلات عند العرب في المشرق حتى ق ٨ هـ ، الرسالة، لعلي محسن مال الله ص٢٣.

٢ - رحلة سليمان التاجر السيرافي (٢٣٧هـ / ٨٥١م)

تعد من بواكير السياحات العربية ، ويظهر انه كان تاجرا معروفا في البصرة وسيراف ومنها رحل اكثر من مرة الى بلاد الصين التي قصدها للتجارة بالدرجة الاولى. وقد اضاف الى حكايات سليمان بعد عشرين عاما . ابن وهب القرشي ، وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي دون قصص الرحلتين ابو زيد الحسن السيرافي البصري[١] . وقد طبعت هذه الرحلة مع ذيلها اول مرة بعناية المستشرق لانجله سنة ١٨١١ ثم نشرها المستشرق فران سنة ١٨٨١ تحت اسم «رحلة الى الصين والهند» واسماها المستشرق سوفاجية لما نشرها مع بعض اللاحق المهمة سنة ١٩٤٨ بـ «اخبار الهند والصين».

٣ - رحلة ابن خرداذبة (٢٥٠هـ / ٨٦٤م) الى بلاد الصين

هو ابو القاسم عبد الله من الجغرافيين العرب المعروفين ، الف كتابا في المسالك والممالك استقى معظم معلوماته الجغرافية في الطرق والبلدان من خلال عمله ، ذلك انه شغل منصب صاحب البريد بجهة الجبل جنوب غربي بحر قزوين. يعد هذا الكتاب بمثابة دليل يسترشد به المسافر الى الشرق الاقصى اكثر منه سفرة ميدانية. كما ان الطريق الذي سلكته هذه الرحلة جاء مغايرا للطريق الذي سلكه سليمان التاجر في رحلاته[٢]

٤ - رحلة ابن وهب القرشي (٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م)

ابن وهب تاجر من قريش كان يسكن البصرة ويرجع نسبة الى هبار بن الاسود بن عبد الطلب بن عبد العزى وهو جد الهباريين ملوك السند[٣] ويعتقد انه ترك البصرة عندما خربها

---

١ - الاصول التاريخية.. ص ٢٨

٢ - تجارة العراق البحرية ... ص ٩٧

٣ - ادب الرحلات عند العرب ... ص ٤٢

الزنج حتى انتهى الى مدينة خانقو (كانتون) جنوب الصين ومنها قصد خمدان لمقابلة الامبراطور الصيني His Tsang الذي اكرمه واحسن ضيافته وتحدث معه في امور الدين والسياسة.

لم يسجل ابن وهب رحلته وانما تحدث عنها ونقل هذا الحديث ابو زيد السيرافي. وهناك من يرى ان المسعودي التقى السيرافي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م واخذ عنه رواية ابن وهب وهو ما يفسر التشابه الوارد بينهما(١).

٥ - رحلة اليعقوبي(٢٧٨ هـ / ٨٨٠م

دونها اليعقوبي في «كتابه البلدان» والرحلة زاخرة بالملاحظة والتجربة، خالية الى حد ما من الاساطير التي تشوه الحقائق، بدأ اليعقوبي رحلته من العراق وزار بلاد الشام وفلسطين والمغرب وارمينيا وايران والهند ، ومن خلال هذه السياحة دون معلومات البلدان التي زارها بنفسه(٢).

٦ - رحلتا ابن فضلان (٣٠٩هـ / ٩٢١م)

هو احمد بن فضلان بن العباس بن راشد كان مولى لمحمد بن سلمان الذي افلح في ايقاع الهزيمة بالدولة الطولونية واعادة مصر الى حضيرة الخلافة سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م وابن فضلان هذا ذهب الى ملك البلغار في بعثة ارسلها له الخليفة العباسي المقتدر بالله، ذلك ان ملك البغار كان قد اعتنق الاسلام وطلب من الخليفة ان يرسل له من يعلمه الاسلام ويعرفه شرائعه واحكامه فاستجاب لذلك الخليفة فارسل البعثة من بغداد ، وكان من رجالها ابن فضلان ليقوم بوظيفة رجل الدين. بدأت السفرة في الصيف ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م وقضت في الطريق ما يقرب من احد عشر شهرا وسلكت طريقا من بغداد الى بخارى فخوارزم الى بلاد البلغار وفي الى

---

١ - الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ، زكي محمد ص ، ص ٢٠

٢ - ادب الرحلات عند العرب ... ص ٤٦

الاصطخري والمسعودي وياقوت وغيرهم[1].

٧ ـ رحلة الاصطخري (٣٤١ هـ / ١٩٥٢م)

هو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي ، عني في اسفاره وتنقلاته بأقاليم العالم الاسلامي وما جاورها من البلدان ونقل معرفته واختباراته الشخصية في كتاب «المسالك والممالك» و«كتاب الاقاليم» الذي نشره موليركوتا سنة ١٨٣٩ م ونسبة الى الاصطخري.

٨ ـ رحلة المسعودي (٣٤٦ هـ /٩٥٧ م)

هو ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، جغرافي ومؤرخ، عراقي المولد والنشأة كما ذكر هو عن نفسه[2] ، وقد اختلف في سنة ولادته التي يرجح انها كانت في حوالي سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م وعاش عمرا يناهز الستين عاما، وتوفي في مدينة الفسطاط بمصر لما زارها في اخر رحلاته، التي ذكر انه زار بها اجزاء من الهند كالسند والبنجاب وملابار، وسيلان وهو في طريقه الى بحر الصين ثم عاد الى زنزبار ومدغشقر، وزار عمان وعاد فزار بحر قزوين واسيا الصغرى وسوريا وفلسطين حيث كانت مصر مثواه الابدي. وقد كرس هذه الرحلات والاسفار في كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر».

ينفرد المسعودي بين اقرانه من الجغرافيين في انه تحدث عن الشعوب والبلاد المجاورة لعالم الاسلام واصفا احوالهم وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وصفا لايخلو من الاساطير والخرافات ومع ذلك فان مؤلفاته تعد بحق خلاصة وافية للمعرفة العلمية المزدهرة ابان القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[3].

---

١ ـ الرحالة العرب ، ص ٤٦ ، وينقل نقولا زيادة في كتابه «الجغرافية والرحلات عند العرب ص ١٥١ معلومات عن رسالة ابن فضلان التي نشرها المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٩ ، كما ان بلاشير في كتابه «منتخبات من اثار الجغرافيين من القرون الوسطى ص ٩٧ .. يذكر تفاصيل عن هذه الزيادة».

٢ ـ مروج الذهب .. جـ١ ص ٢٧٤.

٣ ـ الحضارة الاسلامية ، لحوذا بخش ، تعريب علي حسن الخربوطلي ص ١٧٩.

٩ - رحلة الرام هرمزي:

وهو برزك بن شهريار الناخذاه اي الربان ، ممن عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، الذي نقل في كتابه «عجائب الهند بره وبحره» حكايات عديدة لاقرانه من البحريين والربانية ومشاهداتهم ومغامراتهم في البحار الشرقية. اضافة الى انه تحدث فيه من الزابج (اي اندونيسيا) وملكها واسواقها العظيمة وحركة التجارة والصيرفة فيها.

١٠ - رحلة ابن حوقل (٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)

صورة الارض

وهو محمد بن علي بن حوقل البغدادي ، صاحب كتاب «صورة الارض» سافر من بغداد سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢م ووصف بلاد العرب وبدأ بمكة المكرمة لقد سيتها ثم اقلع غربا فوصف القلزم (السويس) وتونس ودخل الاندلس ووصف مدينة قرطبة وزار جزيرة صقلية ثم توجه الى مصر وزار الاسكندرية ومنها الى دمشق ثم الى العراق وذكر بغداد ومنها توجه صوب الشرق الى ايران ثم الى السند والهند حيث وصف مدينة الملتان التي سماها بيت الذهب حيث الصنم الذي نسب تسميتها اليه.

١١ - رحلة المقدسي (٣٨٧هـ / ٩٩٧ م)

احسن التقاسيم

هو شمس الدين ابو عبد الله احمد المعروف بالبشاري ، ولد بالقدس وزاول التجارة ومن خلالها ساح في الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ومصر والمغرب وايران ، ورسم البلاد التي زارها خرائط ملونة ، كانت انذاك في الدقة ، ورحلة المقدس التي ضمنها في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» احتوت اضافة الى معلوماتها الجغرافية الوافية ، موضوعات اجتماعية وتاريخية ويتجلى ذلك واضحا في حديثه عن عادات الزواج في اقليم الديلم وذكره للفرق المدينية في اقليم المغرب ، ويؤخذ عليه استعماله للكلمات الصعبة وذكره للغرائب والعجائب[1]

---

١ - ادب الرحلات ... ص ١٢٣

١٢ - رحلة ابي دلف / من ٣٣١-٣٨٥هـ

هو مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي . شاعر واديب ورحالة ، عاش في بلاد السامانيين وبعثه نصر بن نوح دليلا لبعثة صينية في عددتها الى بلادها ، بدأ رحلته معهم من بخارى الى الهند والصين وفي طريق عودته اتصل بالصاحب بن عباد ونظم له القصيدة الساسانية التي حوت الفاظ الفقراء والشحاذين والنصوص على سبيل التفكه. ولابي دلف رحلتان : الاولى الى الصين لما ارسله نصر بن نوح دليلا ولم تصلنا من هذه الرحلة تفاصيل الا ماذكره عنها ابن النديم وياقوت الحموي من نصوص متفرقة. اما الرحلة الثانية فقد طوف بها في ايران واذربيجان وارمينيا.تكمن اهمية رحلة ابي دلف في قيمتها الادبية وقد افاد منها ياقوت الحموي والقزويني.[١٦]

١٣ رحلة ناصر خسرو (٣٩٤ - ٤٨١)

ولد بالقرب من بلخ ونال حظا وافرا من المعرفة ، وزار الهند وعمل في بلاط الغزنويين وعاد ليشغل عند السلاجقة منصبا كبيرا. بدا رحلته من مرو فنيسابور والري وتبريز وميافارقين واحد ومران الى بلاد الشام حيث طوف في مدنها المهمة وفي القدس قضى اربعة اشهر ثم سافر الى مصر برا عن طريق عسقلان وعاش في قرابة السنتين في كنف الخليفة المستنصر الفاطمي ، وفي سنة ٤٤١ ه / ١٠٤٩ م سافرا الى جده بطريق عيذاب وبعد ان حج للمرة الاخيرة عاد الى مرو بعد ان اجتاز الطريق من مكة الى الاحساء برا وزار البصرة وقد نفاه السلاجقة وظل متخفيا في جبال خراسان داعيا لمذهبه الاسماعيلي الى ان توفي.

تميزت رحلته المعروفة باسم «سفرنامه» بالملاحظة الدقيقة والمعلومات الوافية والصور الجميلة للبلاد التي زارها. كما تعد مصدرا لاحوال بلاد الشام الاجتماعية والاقتصادية قبل مجي الصليبيين[١٧]

---

١٦ - جهود المسلمين في الجغرافية ، لنفيس احمد ، ص ٥١

١٧ - الرحالة العرب ، ص ٤٨ ، ٤٩

١٤ - الشريف الادريسي (٥٤٨ هـ / ١١٥٦ م)

ولد في سبتة من اسرة علوية وتعلم في قرطبة فنون المعرفة وساح في اوربا واسيا وسواحل البر المتوسط ثم استقر في بلاط روجر الثاني في بالرمة بصقلية وهناك وضع كرة فلكية من الفضة وخريطة للعالم حفرت على اسطوانة من الفضة الخالصة. وفي بالرمة صنف كتابه الموسوم بـ «نزهة المشتاق في اختراق الافاق» وهو وصف للارض، اعتمد فيه على مشاهداته الخاصة وعلى تقرير نفر من الاذكياء بعثهم روجر في شتى النواحي يصاحبهم الرسوم وجعل الادريسي يتلقى مايعود دون به وسجله. ومصنفه هذا يعد من اهم الاعمال الجغرافية في عصره وفيه يقسم العالم الى سبعة اقاليم مناخية ثم يقسم كلا منها الى عشرة اقسام من المغرب الى الشرق، ووضع لكل قسم خارطة اضافة الى الخارطة العامة، ومن هذه الخرائط استخراج ميلر خريطة الادريسي ونشرها، وقد اعاد المجمع العلمي العراقي خارطة الادريسي الى اصلها العربي بعد تحقيق وتصحيح اشترك بهما علي ميلر.

١٥ - ابن جبير (٦١٤ / ١٢١٧)

هو ابو الحسن محمد بن احمد، ولد في بلنسية واتصل بصاحب غرناطة ابي سعيد بن عبد المؤمن، وفي سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨١ م خرج من غرناطة ومر بسبتة وبعد ثلاثين يوما وصل الى الاسكندرية وهو على مركب للجنويين قاصدا الحجاز وفي طريقة زار قوص وعيذاب وجدة منها الى مكة والمدينة، وبالطريق النجدي وصل الى الكوفة ثم بغداد وبعد الى الموصل ثم عاد الى سوريا حيث زار مدن حلب وحماه وحمص ودمشق وعكا ثم اقلع في مركب افرنجي الى مقلية سارا بصور وعاد الى غرناطة. وبعد ذلك رحل الى الشرق مرتين زار خلالها الس مصر واحنار الاسكندرية وفيها اقام الى ان توفي

عني ابن جبير في رحلته الشهيرة التي اسماها «تذكرة بالاخبار عن اتفاق الاسفار» بالطقوس الدينية والنواحي الاجتماعية والاقتصادية والمناظر والمشاهدات. ما تميزت هذه الرحلة بالاسلوب الواضح وباستعماله للتاريخين الهجري والميلادي، ويعتقد ان ابن بطوطة استفاد منه في وصف حلب ودمشق وبغداد[٢].

---

١ - الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٧.

٢ - الرحالة العرب ص ٥٨ و ٥٩.

١٦ ـ رحلة الهروي (حوالي ٦١١ هـ / ١٢١٥ م)

ابو الحسن علي بن ابي بكر، اصل اسرته من هراة بافغانستان، لكنه ولد في الموصل وطاف في سوريا وفلسطين ولبنان والعراق واليمن والحجاز ومصر وبلاد الروم وجزر البحر المتوسط حتى صقلية وتنقل في مساجدها وخانقاتها وفي اواخر ايامه استقر في حلب في ظل الملك الظاهر بن صلاح الدين وبنى له مدرسة بظاهر حلب دفن فيها. وبيننا بين كتبه، كتاب «الاشارات الى معرفة الزيارات» فيه وصف دقيق ومسهب للاثار والعمائر الدينية في كل مدينة زارها(١).

١٧ ـ رحلة ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ / ١٢٣٠م)

هو شهاب الدين ابو عبد الله ابو عبد الله الحموي الرومي ، من ائمة الجغرافية والموسوعة العربية ومن العلماء باللغة والادب ،اشتراه تاجر في بغداد يعرف بعسكر الحموي فنسب اليه ، واشتغل عند مولاه بالاسفار والتجارة : فسافر الى كيش اي قيس في الخليج العربي وعمان وبلاد الشام ومصر وعاد ثانية الى دمشق وحلب واربل في العراق ومنها الى ايران فخوارزم وامضى في نيسابور عامين ثم الى مرو ومكث فيها ثلاثة اعوام ،عاد الى الموصل حيث توفي فيها وقد دامت رحلته ستة عشر عاما(٢)

ويعد معجم البلدان اكمل وصنف المعلومات الجغرافية الوصفية والفلكية واللغوية واخبار الرحالين ،ويتميز ياقوت بمنهجة المستقل الذي يقوم على ادراك وذكاء وقدرة على التذكر والاستطراد وتدوين المشاهدات بدقة. مما جعل من موسوعتيه «معجم البلدان» و «معجم الادباء» معينا لكل دارس او باحث(٣)

---

١ ـ الرحالة العرب ص ٥٩

٢ ـ تاريخ الادب الجغرافي .. حـ١ ص ٣٢٩

٣ ـ مقالة كراموز في دائرة المعارف ، مادة جغرافية ، ايضا الادب الجغرافي حـ١ ص ٣٣٤

١٨ - رحلة عبد اللطيف البغدادي (٦٢٦هـ / ١٢٢٠)

موفق الدين عبد اللطيف ، رحالة عالم ، ولد في بغداد عام ٥٥٧ هـ / ١١٦٢م ونال فيها قسطا من المعرفة التي شملت الطب والفلسفة والنحو واللغة وعلمي التفسير والحديث ، وانتقل الى الموصل وفيها التقى العالم الرياضيات الكمال بن يونس ، ومنها رحل الى دمشق والقدس ثم الى مصر حيث اتصل بموسى بن ميمون وابي القديم التارعي الذي اعجب به ، ومنها عاد القدس ثانية للقاء صلاح الدين بعد الهدنة، ثم رحل الى مصر في ركاب العزيز سلطانها . في الازهر كان يقرىء الناس صباحا ومساء ويبين مايقرئ الطب الذي تضلع منه ودعاه حب الاستطلاع الى القدس ومنها الى دمشق حيث درس في المدرسة العزيزية وتنقل بين حلب واذربيجان وارزن في بلاد الروم وكانت بغداد مثواه الاخير.

مع ان البغدادي برز في الطب وكشف عن اخطاء لجالينوس في وصف الهيكل العظمي ، فقد ترك لنا كتابا وصف فيه مصر وصفا طبوغرافيا تناول فيه ظواهر مصر الطبيعية والمصطنعة اسماه بـ « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر »[1].

١٩ رحلة ابن سعيد الاندلسي (٦٨٢هـ / ١٢٨٦م)

علي بن سعيد ، ولد بقلعة يحصب قرب غرناطة سنة ٦١٠/١٢١٤ م ، درس باشبيليه وجال بمصر والشام والعراق والحجاز ، خدم الامير ابن عبد الله المستنصر بتونس ثم ارتحل منها الى المشرق ، ويعتقد انه توفي بدمشق بعد ان اطلع على اعمال التخريب التي تركتها هجمات هولاكو على بلاد الشام ومصر. لابي سعيد عدة مؤلفات يهمنا منها «المغرب في حلى المغرب» و «المشرق في حلى المشرق» و «عدة المستنجز وعقلة المستوفز» التي تناولت اسفاره ورحلاته[2].

---

١ - الرحالة العرب ، ص ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٥

٢ - المصدر السابق نفسه ص ١٠٤ و ص ١٠٥

بلنسية

٢٠ ـ رحلة العبدري (القرن السابع الهجري /الثالث الميلادي)

هو محمد بن محمد بن علي وينسب الى جده عبد الدار بن قصي القرشي ، واسم العبدري مرتبط ببلنسية التي ولد فيها. بدأ الرحلة عبر شمال افريقيا قاصدا حج البيت الحرام سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٩٢م مارا بالجزائر وتونس وليبيا الى الاسكندرية وسلك الطريق البحري الى مكة مارا بفلسطين. وقد خلف لنا كتاب «الرحلة المغربية» وهو وصف جيد لاحوال البلاد التي زارها في القرن الثالث عشر الميلادي[١].

٧٨ سنة / من طنجة

٢١ ـ رحلة ابن بطوطة (٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م)

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي ،ولد بطنجة ومنها بدا الرحلة التي استغرقت (٢٨) سنة من حياته جاب خلالها الارض شرقا وغربا . قطع فيها مسافة قدرت بنحو (٧٥٠٠٠كم) وهي مسافة لم يقطعها رحالة في العصور الوسطى. كانت رحلته الاولى لغرض اداء فريضة الحج حيث سار من طنجة الى مصر عبر شمال افريقيا ثم زار بلاد الشام وبعد ان حج تنقل في بلاد العرب وايران ثم زار القرم وحوض الفولغا والاردن ودخل القسطنطينية فاحتفى به ملكيا قسطنطين الرابع واتجه بعدها شرقا الى خوارزم وبخارى وتركستان وافغانستان والهند وفيها قضى ثمانية اعوام في خدمة سلطان دلهي الذي ارسله في سفارة الى الصين وتعرف في طريقه على جزر المهل (الملديف) وبعض جزائر الهند الشرقية (اندونيسيا) والصين ثم عاد الى طنجة ،بعد ذلك قام برحلتين الاولى الى الاندلس والاخرى الى السودان الغربي وعاد الى فاس فاقام بها حتى وفاته. وفيها املى وصف رحلاته المشهورة باسم «تحفة النظار وغرائب الامصار وعجائب الاسفار» على ابي جزي الكاتب ببلاط السلطان ابي عنان المريني (٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م). وقد ترجمت اجزاء من الرحلة ونشرت في كثير من اللغات ونشر النص العربي الكامل في القاهرة عام ١٩٠٤ كما نشر مختصر له بعنوان مهذب ابن بطوطة ١٩٣٤. وكان المستشرق جب الانكليزي ممن اهتم بنشر هذه الرحلة بنصها الكامل[٢].

---

١ ـ الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٨٦ ، والرحالة العرب ص ١٠٥

٢ ـ المصدر السابق نفسه ص ١١

لم يكن ابن بطوطة جغرافيا فهو لم يهتم بالاقطار الا قليلا حتى المدن وصفها من خلال من يقطنها من الناس ، ولذلك فهو يفيدنا في التاريخ والاجتماع اكثر مما يفيدنا في الجغرافية كما ان ترتيب اسفاره ليس واضحا ومرد ذلك : انه املى اخباره بعد مدة طويلة من انتهاء اسفاره اولا وانه عني بالناس الذين يقيمون في الاماكن التي زارها ثانيا. هذا وغيره حمل البعض على الشك في وصول ابن بطوطة الى بعض المناطق النائية التي زعم الوصول اليها كالصين وهو امر لم يتحقق منه، ومع ذلك فالكثرة من الباحثين تجمع على انه كان امينا صادقا في رواياته ، نذكر في هذا الصدد دقة المعلومات التي قدمها ابن بطوطة عن الصين، فقد اشار الى استخدامهم الاوراق النقدية في معاملاتهم التجارية وهي مختومة بختم الامبراطور وتستبدل المتهرئة منها باوراق جديدة، وان لهم رقابة امينة على التجار برسم صورة كل غريب يمر ببلادهم.

وتحدث ابن بطوطة عن الضمان الاجتماعي ومؤسسات الرعاية الاجتماعية حيث البيوت التي يأوى اليها المعوقون وكبار السن اذا مابلغوا الخمسين عاما اعفوا من العمل وتتكفل بهم الدولة[1] وزار الهند وجزائر الهند الشرقية وجزر الملديف ووصف ما ينتج في هذه الجزر عادات الناس وطعامهم ولباسهم ومراسيم الزواج والدفن عندهم وطبقات المجتمع الهندي[2].

واخيرا نذكر رحلة تعد من بواكير الرحلات العربية الى بلاد والمشرق واعني بها رحلات سندباد البحري التي يرجح انها حدثت زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد في غضون القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وقد ورد ذكرها ضمن حكايات الف ليلة وليلة[3].

ولايستبعد ان يكون سليمان التاجر هو نفسه السندباد ،وان كان العمانيون يطلقون وصف السندباد على احد تجارهم وهو ابو عبيدة عبد الله القاسم[4].

على كل حال السندباد البحري بغدادي من اولاد الذوات ، باع متاعه وعقاره بمبلغ ثلاثة الاف دينار وانحدر في رحلته الى البصرة ومعه جمهرة من التجار باتجاه الخليج العربي والمحيط الهندي ، وقد تكررت هذه الرحلات حتى وصلت ست رحلات في كل رحلة تكون البصرة مركز انطلاقه وبالتالي عودته ، والرحلات مع مارافقها من اساطير وخرافات وحكايات مأساوية فانها تشكل النواة التي اعتمد عليها البلدانيون العرب لما حوته من معلومات جغرافية اوردها السندباد خلال رحلاته .

مكتب اسامة
ستنساخ* طباعة ليزر
بغداد / باب المعظم

---

١ ـ الرحالة العرب ، ص ١٢٤

٢ ـ الاصول التاريخية ، ص ٢٤

٣ ـ حديث السندباد القديم لحسين فوزي ، ص ٢٢٤

٤ ـ الاسلام في الصين ، لفهمي هويدي ص ١٧